اللاهوت النسوي
بين مبررات الاجتهاد ومخاطر التطرف

د. نعيمة إدريس(*)

تمهيد

توصل الفكر النسوي إلى قناعات عدة منها أن الوضع المهين الذي عاشته ومازالت تعانيه المرأة سببه الرئيسي الدين بنصوصه المقدسة، لكن حدث انقسام في الفكر النسوي حول هذه المسألة، نجد نساء برأن النص الديني، متهمات الرجل الذي سيطر على المؤسسة الدينية بتقديم تفسير وتأويل للنص يخدم السلطة الذكورية، وبالتالي ضرورة الاجتهاد وتقديم قراءة ثانية للنص الديني من منظور نسوي أصح. هذا بخلاف أصحاب الفكر الراديكالي الغربي الذي دخل في مواجهة مباشرة مع الدين، فجميع الأديان السماوية بزعمهن تدعم الفكر الذكوري الأبوي وتهمش المرأة، بل هي السبب الرئيسي في الوضع المهين المزري الذي عاشته النساء لأجيال طويلة.

لقد وجد الفكر النسوي في فلسفة الحداثة وما بعدها دعما، فكلاهما يشكل الثورة على الدين ويمجد إعلان موت الإله ليفسح المجال للإلحاد، فارتد الكثير من الغربيين إلى الأديان الوثنية القديمة التي تعبد أصناما محسوسة وتتعدد فيها الآلهة، وأصبح الفكر البدائي هو النموذج الأعلى الذي يمكن تمثله، وهذا بالضبط ما وصل إليه بعض أنصار الفكر النسوي في الغرب في الوقت الراهن الذين أسسوا لما يسمى باللاهوت النسوي، فبشرت دعاة النسوية المتطرفات أن تتحول النسوية من نظرية أو فلسفة إلى دين يتم اعتناقه. دين للنساء فقط، دين يعيد العصر الأمومي الذي يبذلون جهودا خارقة للترويج له حيث تتصالح الطبيعة مع المرأة فهما يحملان روحا أنثوية واحدة وتعبد فيه إلهة ربة.

(*) المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة.

http:/ /www. freeorthodoxmind. org/2011/05/blog-post_5306. html.

تعتقد كثير من الحركات النسائية اليوم، بأنه إذا لم يكن مؤكداً بأن الله قد مات، ولسنا نملك أيّ يقين يؤكد أنّ فكرة الله قد دخلت طور الاحتضار، فمن الممكن ومن الحكمة أن تتّجه الحركة النسائية نحو نزع طابع الأبوّة والذكورة عن الله، وأن تضفي عليه لمسات أنثوية، إلى إحداث انقلاب عقائديّ غير مسبوق، تتجنّد من أجله اليوم عديد الحركات النسائية، ومعها بعض الكنائس البروتستانتية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وكندا، عبر صلوات وشعائر دينية تقودها نساء، ومن خلال أدعية وترانيم تعيد تأسيس فكرة الخلق وصفات الذات الإلهية، وفق حسّ جمالي أنثوي يهدف إلى تحرير الأديان من نزعة التمركز الذكورية، لقد بات من المؤكد أنه يوجد الآن علم جديد اسمه علم اللاهوت النسوي له عالمات ينظرن له ويبشرن به يرمي إلى تأسيس دين أنثوي.

لكن في الواقع أيضًا هناك اتجاهات داخل اللاهوت الأنثوي، لا تحاول الانقلاب على النصوص أو التعاليم اللاهوتية، لكنها في الوقت نفسه تحاول تقديم صورة إيجابية للأنثى من التقليد المسيحي والنصوص الكتابية مثل خلق الإنسان ذكر وأنثى على صورة الله كما ورد في سفر التكوين، وشمولية الفداء للذكر والأنثى في الإنجيل، وكذلك التركيز على النماذج الأنثوية في التاريخ المسيحي والكتاب المقدس، من أجل تطبيق ذلك في النهاية على فكرة المساواة بين الجنسين.

والإشكال: قصة الخلق تعبر عن مساواة كاملة بين الرجل والمرأة لكن المنطلق اللاهوتي الذي يبدأ من سفر التكوين هو منطلق ذكوري بحت، فإلى أي مدى ممكن أن يكون الاجتهاد على النصوص أو القراءة الجديدة لها حلا لمشكلة تهميش المرأة، وكيف استغل البعض هذا التهميش سببا للخروج عن الدين برمته؟

أولا: الأسس اللاهوتية للتمييز ضد المرأة

نحاول التطرق لهذا العنوان من خلال دراسة نشرتها مدونة التنوير المسيحية تبرز وتعرف التمييز ضد المرأة بأنه كل تفرقة أو اختلاف في المعاملة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس Gender بهدف الانتقاص من حقوق المرأة لصالح الرجل أو التأثير على تمتع المرأة بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية وأية حقوق أخرى.

لكن ما تلفت له الحركات النسوية أنه يوجد مع الأسف الشديد فكر تمييزي يستند لأسس

لاهوتية مسيحية وقبلها يهودية، ساهمت في تدني وضع المرأة في اللاهوت المسيحي وفي الكنيسة وبالتالي في عدم المساواة حيث تشير Rosemary Radford[١] إلى أن الحركة النسوية هي موقف حاسم يتحدى النموذج القائم على السلطة الأبوية (الذكورية) والتي تُعرّف الذكور ككائنات مهيمنة (القوة) وفائقة (العقل)، والنساء ككائنات مساعدة أي ليست أساسية وأقل شأناً، لهذا فالحركة النسوية قامت من أجل إعادة بناء هذا النموذج الموجود بين الجنسين من أجل إشراك المرأة في الإنسانية الكاملة والمتساوية تماماً مع الرجل. وبالتالي فاللاهوت النسوي يحاول إعادة بناء العلاقة السائدة بين الجنسين في لاهوت جديد في منهجه وطرحه وتأويله للكتاب المقدس.

لكن مؤكد الطرح الجديد يؤدي للاصطدام بالأنماط اللاهوتية التقليدية والسائدة والتي تمنح الذكر الهيمنة والسيادة وتعطي التبعية والخضوع للأنثى، وأنماط أخرى مثل حصر اللغة في الحديث عن الله في التعبيرات الذكورية، وأن القيادات الكنسية هي فقط ذكورية، وأن المرأة خلقت من الرجل لكن الرجل خلق من الله إلى غير ذلك من التأويلات التي تميز الرجل ضد الأنثى وتجعله أعلى منها.

لهذا يضع اللاهوت الأنثوي أو النسوي هدفا أساسيا يسعى لتحقيقه يتمثل في إعادة بناء الرموز اللاهوتية الأساسية لله والإنسانية، الذكر والأنثى، الخلق، الخطيئة الفداء، والكنيسة، من أجل تحديد هذه الرموز في صورة تجمع بين الجنسين وتسوي بينهما. داخل هذا اللاهوت نجد اتجاهات نسوية، لا تحاول الإنقلاب على النصوص أو التعاليم اللاهوتية، لكنها في الوقت نفسه تحاول تقديم صورة إيجابية للأنثى من التقليد المسيحي والنصوص الكتابية مثل خلق الإنسان ذكرا وأنثى على صورة الله[٢]، وشمولية الفداء للذكر والأنثى، وكذلك التركيز على النماذج الأنثوية في التاريخ المسيحي والكتاب المقدس، من أجل تطبيق ذلك في النهاية على فكرة المساواة بين الجنسين.

من هنا كان المجال مفتوحا لطرح عديد الأسئلة بداية من قصة الخلق نفسها:

فهل قصة الخليقة تعبر عن مساواة كاملة بين الرجل والمرأة أم أن المنطلق اللاهوتي الذي يبدأ من سفر التكوين هو منطلق ذكوري بحت؟

---

(١) سفر التكوين ١: ٢٧

(٢) التكوين ٢: ٦-٧

قصة الخلق في سفر التكوين:

كما نعلم يقص علينا سفر التكوين قصة خلق الكون بتفاصيلها من سماء وأرض وماء وصولا إلى خلق الإنسان أو آدم، والدراسة التي أشرنا إليها تقف عند خلق الإنسان تحديدا بالتحليل والتقصي لمعرفة إن كانت توجد دلالات إلهية تبين دونية المرأة عن الرجل كما أشاع ذلك رجال الدين واللاهوت في تفسيراتهم، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون تعسفا وتجاوزا منهم على النص الإلهي لحساب أنانية الرجل.

سفر التكوين لا يحكي أصل الإنسانية ولا يحكي كيف تكونت الأرض ووُجد الإنسان فقط بل يقدم تبريراً وجوديا في صورة أجوبة على أسئلة الإنسان الملحة: من أين جاء؟ ومن أوجده؟ وإلي أين يذهب؟ وكيف أصبح على هذه الصورة؟ وكذلك يقدم تبريراً وتمهيداً لما يجب أن يحدث في المستقبل من تجسد وفداء وخلاص... لكن بداية الإنسان كانت من آدم فمن الضروري التوقف عند آدم لفهم قصة الرجل والمرأة على حد سواء.

أ- آدم لغة:

خلق الله الإنسان (آدم) على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم، كما ورد في التكوين، الدراسات اللغوية المتخصصة في اللغة العبرية تبين أن مصطلح «آدم» يأتي هنا مسبوقاً بأداة تأكيد وأداة تعريف، هو مصطلح يتكرر دائماً مصحوباً بأداة التعريف عندما يشير إلى الإنسانية (البشرية) وليس كاسم علم. كما أنه لا يشير تقليديا لـ«رجل» أو للذكورة.

نفس الاستخدام يتكرر في سفر التكوين «وجبل الرب الإله الإنسان ('adam) ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار الإنسان ('adam) نفسا حية» و«وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا ووضع هناك الإنسان الذي جبله»[1]. هذا الفهم اللغوي هو نفسه الذي فهمه مترجمو التوراة السبعينية وهو نفس الفهم أيضاً الذي فهمه آباء الكنيسة الأولون.

طوال قصة خلق الإنسان وما تلاها في سفر التكوين، ٢٦: ١-٢٨، ٧: ٢، ٢١: ٢-٢٥، ٣ يُستخدم مصطلح آدم بمعنى البشرية (الإنسان) وليس بمعنى ذكوري أو رجل، بصورة أخرى - وهو ما يؤكده استخدام السبعينية (لكن ليس في كل المواضع) - هو تعبير يشير للجنسين.

(١) التكوين ٤: ٢٥

وأول استخدام واضح لمصطلح آدم كـ اسم علم نجده في النص التوراتي «وعرف آدم امرأته»[١]، ويتضح من التحليل اللغوي التأويل المتعسف لاستخدام مصطلح آدم كاسم علم يعني الرجل الذكر بدل الإنسان، لكن المستنتج من هذا التحليل اللغوي أن آدم تعني الوجود البشري المكتمل في الذكر والأنثى أي تعني الوجود الإنساني، وفي مواضع أخرى تشير إلى آدم اسم العلم، وهذا التفسير يحل جزئيا أن آدم لا تعني الذكر الرجل بل الإنسان البشر، وبالتالي الخطاب الإلهي لآدم في أغلب مواضع النص لم يكن يقصد آدم الرجل، وإنما يقصد الإنسان ذكرا وأنثى عكس ما يروج له التفسير اللاهوتي الذكوري.

ب- الخلق حسب صورة الله:

مما سبق يمكننا القول أن كلمة آدم هي كلمة «وجودية» أي تشير لجوهر «أن تكون إنساناً»: جوهر البشرية، لا يوجد بها أي دليل أن هناك قصد إلهي لكي تعبر اللغة العبرية عن البشرية بكلمة مذكرة.

ففي سفر التكوين ٢٧: ١ وضعت الكلمات «على صورة الله. .. على صورته» قابلة للتبادل مع كلمات «ذكرا وأنثى»، صورة الله ليست فقط ممثلة في الذكر وحده أو الأنثى وحدها، بل صورة الله هي في شركة الاثنين معا لذلك فإن المحبة هي الصفة الأكثر تمييزاً بين الذكر والأنثى.

ويركز جو كابوليو على أن «وجودنا البشري في جنسين، ذكر وأنثى ليس مجرد ترتيب غير مقصود للنوع الإنساني وليس مجرد طريقة مناسبة لحفظ النوع الإنساني. لا، فهو مركز بشريتنا الحقيقية، تنوعنا الجنسي وقدرتنا على أن نحب وأن نكون محبوبين مرتبط جداً بخلقنا على صورة الله».

كما يؤكد أنطوان نوي أيضاً على هذه الحقيقة: «صورة الله ليست شخصا واحداً، ولكنها زوج مع ما يعنيه ذلك من تغيير، تجاذب، تنوع وحب. تظهر تلك الصورة في العلاقة، وتوجد في المقابلة مع الآخر مع ماله من تباين... لم يصنع الإنسان ليكون وحيداً، فهو يحتاج لمن يكون في مواجهته حتى يعكسا معاً صورة الله»[٢].

(1) http:/ /www. freeorthodoxmind. org/2011/05/blog-post_5306. html.

(٢) التكوين٢: ٢٤

ويرى آباء الكنيسة عموماً في هذا النص أنه يعني أن الرجل والمرأة كلاهما على صورة الله، وأن الصفات الشخصية لكل منها تعكس معا الصورة المتكاملة لطبيعة الله وهذا ما يريد أن يعتمده أصحاب اللاهوت النسوي.

فصورة الله لا يمكن التعبير عنها إلا في الشركة، هي ليست في الذكر وحده أو الأنثى وحدها، بل في شركة الاثنين معا، إن خلق المرأة من ضلع الإنسان، من منتصف وسطه، يعني أنها تمثل نصفه تماما، الإنسان فقد الإنسان نصفه (رمزياً) ليصبح غير مكتمل إلا في وجوده في شركة مع النصف الآخر، والمعنى المقصود هنا ليس الزواج بل الشركة مع باقي الإنسانية، لهذا تختتم قصة خلق المرأة بتعبير «ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا»[١] أو كما تنقلها التوراة السامرية «يكونان بشراً واحداً».

لكن ثمة إشكال آخر يطرح يثيره خلق حواء بعد آدم، فهل أسبقية آدم تعني أن حواء دونه وجودا وقيمة؟

ج- خلق حواء بعد آدم:

يجيب أنصار اللاهوت النسوي الذين يحاولون إعادة بناء وتفسير الكتاب المقدس وفق نظرة نسوية تنصف المرأة، بأن قصة خلق الرجل أولاً ثم المرأة بشكل متعاقب هو من أجل إظهار الحاجة إلي الشركة أو الشريك وليس لتبرير أي تسلل هرمي (رئاسي).

فالحقيقة المؤكدة أن الإنسان يحتاج لمعين نظيره يساعده كما ورد في الكتاب[٢] وهذا علامة على النقص وليس التفوق أو السيادة، كذلك هناك أمر آخر، مثلما جُبلت حواء من آدم فآدم نفسه قد جُبل من التراب، لكن هذا لا يعني أن للتراب سيادة أو تفوق على آدم. كذلك آدم لم يكن له أي دور في وجود حواء، فقد أوقع الله سباتاً على آدم ثم بنى الله المرأة، ومن خلال بناء حواء من أحد أضلاع آدم (من منتصف جسده)، يبدو أن الله يشير إلى العلاقة المتبادلة والمتساوية (الشركة)، وصلابة الحياة التي لا تنفصم فيها بين الرجل والمرأة، والملفت هنا مصطلح البناء الذي استخدمه الله لبناء أو خلق حواء، هذا يشير لأهمية وعظمة ما فعله الله.

(١) التكوين ٢: ١٨

(2) http:/ /www. freeorthodoxmind. org/2011/05/blog-post_5306. html.

ومع ذلك من الصعب التكهن عما إذا كان هذا هو ما فعله الله حرفياً من أجل أن توجد حواء (الأنثى)، فالرمزية تتداخل بشدة مع الواقعية في سفر التكوين، ربما أراد الوحي الإلهي أن يشير فقط للشركة والمساواة بين الرجل والمرأة، لا أن يقدم رواية تاريخية لكيفية الحدوث الفعلي لخلق الإنسان[١]، ربما في هذا التأويل مخرج لخلق حواء بعد آدم. لكن كيف يكون الأمر مع قصة السقوط والخروج من الجنة، والتفسير اللاهوتي المستند للنصوص التوراتية يحمل حواء المسؤولية كاملة؟

د- حواء ونتائج السقوط:

بحسب القصة التوراتية فإن حواء أكلت من الشجرة المحرمة فغضب الرب عليها «فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة ما غرك فأكلت. فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها... وقال للمرأة: تكثر أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك»[٢].

من هذا النص تفسر قصة السقوط والغواية، وأكثر من ذلك البشرية كلها تحمل الخطيئة نتيجة طاعة حواء للحية مما أدى إلى أن يحكم الرب على المرأة بأن تقع تحت سيطرة الرجل طوال حياتها وأن يسود عليها، وطبعا انعكست هذه الصورة المتدنية للمرأة على كتبة نصوص العهدين وعلى الفلاسفة والمفكرين الغربيين، مما شكل تراثا غربيا يحمل كراهية شديدة للمرأة جعلت منها شيطانا نقض أوامر الله[٣].

مثل هذا التقليد الديني والتفسير اللاهوتي ترفضه منظرات اللاهوت النسوي، ليقدمن تفسيرا آخر لا يحمل حواء المسؤولية، الإنسان (ذكر وأنثى) هو المسؤول، يصور السفر الأول لآدم وحواء ما حدث بصورة رمزية، بعد السقوط وجد آدم وحواء أنفسهم في كهف الظلمات: «حنيئذ وقف آدم في الكهف وقال: أيها الإله لماذا غادرنا النور وألتف حولنا الظلام؟.... لأنه

(١) التكوين ١٢: ٣-١٦.

(٢) خالد قطب: اللاهوت النسوي وثنية جديدة، مجلة أوراق فلسفية، العدد ٣٧، ٢٠١٣، ص ١٣٥.

(٣) إبيجرافا وابوكريفا العهد القديم: تـ إبراهيم سالم الطرزي، الكتاب الأول: أسفار جنة عدن المسيحية وأسفار آدم وحواء، القاهرة ٢٠٠٦

طول وجودنا في الجنة.. لم أكن مختفيا من حواء ولا هي أيضًا كانت مختفية عني، فحتى الآن هي لا تقدر أن تراني، ولم يأت ظلام يغطينا و يفصلنا وحدا عن الآخر... غطانا الظلام وفصلنا واحدا عن الآخر»[١] (سفر آدم وحواء الإصحاح الثاني عشر)

ما المقصود بهذا الكلام؟ من الصعب الوقوف على المقصود والمعنى الحقيقي، لكن المؤكد الإنسان وليس حواء، الإنسان كسر علاقته مع الله، لقد وصل إلى عالم إمتلاك الخير والشر، وبالتالي كُسرت علاقة الإنسان بالإنسان، الرجل بالمعين نظيره المرأة. بدلاً من أن يكملا بعضهما كانعكاس لصورة الله اصطدما: أدان آدم حواء وأدانت حواء الحية: توترت علاقة الرجل بالمرأة وتوترت علاقتهما بالخليقة من حولها.

كانت كلمات الله لهما لتعريفهما بنتائج التعدي أو العصيان الذي أدى إلى:

- انفصالهم عن الله: «يوم تأكل منها موتا تموت (الموت هنا هو الانفصال عن الله)»، «فأخرجه الرب الإله من جنة عدن»،
- توتر علاقتهما بالخليقة: «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل».
- توتر علاقة الشركة بينهما: «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك»، الرغبة في السيادة هي مرتبطة ارتباطًا وثيقا بالرغبة في التأله: بالكبرياء: أي بالسبب الرئيسي للسقوط، برغم سقوط الإنسان فلازال سبب السقوط قائمًا داخله: رغبته في التأله والسيادة والتسلط وانعكس هذا على علاقته بأخيه الإنسان.[٢]

سيادة الرجل على المرأة ليست إذاً وصية من الله مثلما يقول الفكر اللاهوتي السائد، بل إنها نتيجة دخول في عالم محكوم بعوامل القوة والقدرة والدعوة للإنسان في التاريخ هي مصارعة تلك العوامل الخاصة بالقوة والسيادة من أجل تأسيس علاقات مبنية على التكامل.[٣]

لقد خلق الله الرجل والمرأة على قدم المساواة، ليعكسا معاً الصورة الإلهية، منفردين لا يمكن لأي منهما أن يعكس صورة الله وحده، خُلقا دون أدنى تمييز، لا سيادة لأحدهما على الآخر بل في شركة محبة قائمة دائمة.

---

(1) http:/ /www. freeorthodoxmind. org/2011/05/blog-post_5306. html.

(٢) أنطوان نوي، وقائع أيام الخليقة، ص١١٠.

(3) http:/ /www. freeorthodoxmind. org/2011/05/blog-post_5306. html.

لكن في السقوط كُسر التناغم بين الأجناس، كان الأمر نتيجة الإنسان الذي يريد أن يكون الله. رسالة النص لا تأمر النساء أن يخضعن لأزواجهن، كذلك لا يقول أن أوجاع الولادة منفعة أو أن تعب العمل ضرورة، بل إنه يشرح عواقب السقوط ويدعو لتجاوز هذه الحالة لإعادة اكتشاف العلاقة المبنية على التكامل. في السقوط تأثرت العلاقة الشخصية بين الرجل والمرأة، تغرب الإنسان عن الله وتغرب بالتالي عن أخيه الإنسان، فشركة الإنسان مع الإنسان مستمدة من شركته مع الله. السقوط أدى إلى نتائج مصيرية على رأسها:

- ❐ العيش والإحساس بالفردية والعزلة.
- ❐ الارتياب والمزاحمة والعداوة بين الجنسين[1].

مما سبق نلاحظ أن هذا التوجه اللاهوتي الجديد يحاول تقديم قراءة جديدة للنص المقدس خاصة المتعلق منه بالمرأة، قراءة تعيد بناء علاقة الشراكة والمساواة بين الجنسين كما تهدف للقضاء على النظرة الاستعلائية التسلطية للرجل التي رسخها اللاهوت التقليدي. اللاهوت النسوي المعاصر يحاول اكتشاف العلاقة القائمة على التساوي والشراكة، بالنظر في الصورة الأولى للرجل والمرأة كما حددها الله بعيدا عن الأفكار اللاهوتية التي حادت عن القصد الإلهي.

لكن يوجد توجه داخل موجة اللاهوت النسوي ابتعد مسافات عن النص، بل هو يستند إلى نصوص قديمة جديدة، نصوص تبعث الوثنية من جديد لكن في لباس نسوي خالص.

ثانيا: تطرف اللاهوت النسوي والوثنية الجديدة

تمت الإشارة في مقدمة البحث أن أصحاب الفكر الراديكالي الغربي دخلن في مواجهة مباشرة مع الدين، فجميع الأديان السماوية بزعمهن تدعم الفكر الذكوري الأبوي وتهمش المرأة، بل هي السبب الرئيسي في الوضع المهين المزري الذي عاشته النساء لأجيال طويلة.

لقد وجد الفكر النسوي في فلسفة الحداثة وما بعدها دعما، فكلاهما يشكل الثورة على الدين ويمجد إعلان موت الإله ليفسح المجال للإلحاد، فارتد الكثير من الغربيين إلى الأديان

(١) أنتج اللاهوت المعاصر أنواعا عديدة جديدة في طرحها منها: لاهوت التحرير، لا هوت السود، اللاهوت النسوي... كل نوع يقرأ النص ويؤوله حسب توجهه ومصلحته، لاهوت السود مثلا يصور المسيح رجلا أسود، كما يصور اللاهوت النسوي الله كأنثى.

الوثنية القديمة التي تعبد أصناما محسوسة وتتعدد فيها الآلهة، وأصبح الفكر البدائي هو النموذج الأعلى الذي يمكن تمثله، وهذا بالضبط ما وصل إليه بعض أنصار الفكر النسوي في الغرب في الوقت الراهن الذين أسسوا لما يسمى باللاهوت النسوي، فبشرت دعاة النسوية المتطرفات أن تتحول النسوية من نظرية أو فلسفة إلى دين يتم اعتناقه. دين للنساء فقط، دين يعيد العصر الأمومي الذي يبذلون جهودا خارقة للترويج له حيث تتصالح الطبيعة مع المرأة فهما يحملان روحا أنثوية واحدة وتعبد فيه إلهة ربة.

تأسس علم جديد اسمه علم اللاهوت النسوي[١]، له عالمات ينظرن له ويبشرن به، كما تعتقد كثير من الحركات النسائية اليوم، بأنه إذا لم يكن مؤكداً بأن الله قد مات، ولسنا نملك أيّ يقين يؤكد أنّ فكرة الله قد دخلت طور الاحتضار، فمن الممكن ومن الحكمة أن تتجه الحركة النسائية نحو نزع طابع الأبوّة والذكورة عن الله، وأن تضفي عليه لمسات أنثوية، إلى إحداث انقلاب عقائدي غير مسبوق، تتجند من أجله اليوم عديد الحركات النسائية، ومعها بعض الكنائس البروتستانتية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وكندا، عبر صلوات وشعائر دينية تقودها نساء، ومن خلال أدعية وترانيم تعيد تأسيس فكرة الخلق وصفات الذات الإلهية، وفق حس جمالي أنثوي يهدف إلى تحرير الأديان من نزعة التمركز الذكورية. ويضربن مثالا على هذه النزعة الذكورية في عقيدة التثليث مثلا بأنه تعبير عن ذكورية اللغة والفكر، فالأب مذكر، والابن مذكر، والروح القدس مذكر، وفي هذا قمة القسوة والسلطة التي يمارسها الأب والابن داخل هذه العقيدة، هذا ما وقفت عليه كاترين كيلر أستاذة اللاهوت وغيرها من المنظرات [٢]. وللتخلص من الأديان السماوية الذكورية لا بد من تأسيس دين جديد يعيد للمرأة والإنسانية روحها وجمالها وهذا ما تم بالفعل إنجازه.

أ- إحياء الوثنية القديمة:

تهدف الوثنية الجديدة إلى بعث وإحياء الوثنية القديمة بأشكالها المتعددة فتظهر الوثنية الجديدة تارة بأنها تعتقد بتعدد الآلهة لأن الاعتقاد في إله واحد يتنافى مع التعددية والنسبية اللتين شدد عليهما فكر ما بعد الحداثة في الغرب، وتارة أخرى تتخذ من أفعال: كالسحر

(١) نقلا عن خالد قطب: اللاهوت النسوي وثنية جديدة، ص ١٤٢.
(٢) خالد قطب: المرجع نفسه، ص١٣٩.

والكهانة القديمة وقراءة الطالع والكف والحظ وممارسة الأفعال الجنسية والرقص والموسيقى الصاخبة طقوسا[١]. وأكيد أن وصول الإنسان الغربي إلى هذا التوجه وإلى هذه الحالة من التخبط والتياهان والفوضى التي يعيشها الإنسان الغربي مؤسفة جدا، لأنها انعكست على أدائه الروحي الإيماني وأوقعته في هذه الحالة من العبث والغموض والفوضى، لكن يحاول أن يضفي عليها شيئاً من المنطق والجاذبية، فهو يسعى لاختراع دين جديد يشبع ولو حيزاً صغيراً من الظمأ الروحي الذي يعانيه، وفي الوقت ذاته يشبع شهواته ويخدم أفكاره.

هذا تحديدا ما توصلت إليه دعاة النسوية المتطرفات، فهن يعملن ويجتهدن أن تتحول النسوية من نظرية أو فلسفة إلى دين يتم اعتناقه، دين للنساء فقط، دين يعيد العصر الأمومي الذي يبذلون جهودا خارقة للترويج له، حيث تتصالح الطبيعة مع المرأة فهما يحملان روحا أنثوية واحدة وتعبد فيه إلهة ربة، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وقد روج لهذه الدعوة الوثنية أنصار الحركات البيئية الذين نادوا بضرورة عودة الوفاق بين الإنسان الفرد والطبيعة وإعادة التوازن والاحترام والوصول إلى حالة من الوحدة بينهما، معتبرين أن الأديان السماوية هي المسؤولة عن الأزمات البيئية، التي جعلت الإنسان يعتقد أنه سيد الطبيعة بما أنه خلق على صورة الله، ومن ثم جاءت الدعوة إلى تقديس الطبيعة بكل مخلوقاتها[٢]. ومثل هذا التوجه يبرز لنا تطرف اللاهوت النسوي، بل وشذوذه الذي أنتج أفكارا خطيرة مقززة تعكس رداءة الوضع بل تعفنه خاصة روحيا ودينيا.

وأهم ما يمكن الوقوف عليه من هذه الموجة النسوية المتطرفة:

- أصبح هناك علم جديد اسمه علم اللاهوت النسوي له عالمات ينظرن له ويبشرن به حيث تذهب سالي ماكفيجش عالمة اللاهوت النسوي إلى ضرورة تجسيد الإلهة/ الأنثى واعتبار أن هذا العالم كله جسد لها.

أما الفيلسوفة وعالمة اللاهوت النسوية الشهيرة ماري ديلي، فتذهب إلى أن تحرير المرأة الحقيقي يأتي أولاً من إسقاط الفكر الذكوري عن المعتقدات والرسالات والممارسات الدينية واستبدال هذا الفكر بدين وثني نسوي جديد تكون فيه الإلهة الأنثى هي المعبودة الوحيدة.[٣]

---

(١) المرجع نفسه، ص١٣٩-١٤٠.

(٢) خالد قطب: الحركة الإسلامية وخلخلة المجتمعات الإسلامية، ص٤٢.

(3) http:/ /alrased. net/main/articles. aspx?selected_article_no=3543.

ب- عقائد وعبادات اللاهوت النسوي:

لم تهمل عالمات اللاهوت النسوي والمبشرات بدين المرأة الجديد جانب العقائد والعبادات بل حاولن إبراز الصفات المقدسة للإلهة الأنثى، وكيفية الإيمان بها، وكذلك الشعائر التي تأمر بها من ذلك:

- هذه الإلهة المزعومة رمز الحب والخصوبة والسلام وهي تجسد بأنثى عارية لها نهدان كبيران.
- هذه الإلهة تحيط بنا في كل مكان فهي مبثوثة في الطبيعة ذاتها التي دمرها الذكور بسيطرتهم وعجرفتهم.
- هذه الإلهة عالمة بكل شيء ولا تخطئ أبدا.
- لا بد من التبشير بهذه الإلهة ونشر تعاليمها.
- أن تقع في حب الإلهة فهذا هو عين الإيمان ولن تحتاج إلى طقوس كتلك الموجودة في الأديان.
- تتقرب إلى الإلهة بما تحبه ألا وهو الرقص والغناء والممارسات الجنسية المثلية، فهي تحب النساء اللاتي يمارسن الجنس مع بعضهن البعض، وممارسة الشذوذ هو من الطقوس اليومية[1].
- دين الإلهة الأنثى يجمع بين أديان كثيرة، فهو يجمع بين البوذية والمسيحية والطاوية (عقيدة تجمع بين الكونفوشيوسية والهندوسية والبوذية) واليهودية وعقائد السيخ والهندوسية والإسلام.
- تطالب هذه الإلهة المزعومة المعتنِقات لها بأن يأكلن الحبوب والخضروات والفواكه في معظم الأوقات، وهي لا تحرم أكل اللحوم وعندما يأكلن اللحوم فعليهن أن يشكرن الحيوان ويصلين له.
- كما تطالب بتخصيص مكان في البيت لعبادة الإلهة الأنثى ثلاث مرات عند الشروق ووقت الذروة وعند الغروب.

(1) http:/ /alrased. net/main/articles. aspx?selected_article_no=3543.

- يجب تعليم الأطفال العبادة اليومية للإلهة الأنثى ويجب الاهتمام بالاحتفالات والأعياد التي ترضى عنها.

كانت تلك أهم الأفكار والتعاليم التي أوردتها عالمات اللاهوت النسوي حول هذه الإلهة التي اخترعنها ووضعن تعاليمها، ووصل الأمر ببعض المبشرات بهذه الديانة الجديدة إلى الزعم بأن الإلهة الأنثى توحي إليهن كتلك المبشرة النسوية النشطة (آنا ليفيا بليرابل) التي نصّبت من نفسها رسولة، وهذا نموذج من الوحي الذي أوحته الإلهة الأنثى إلى رسولتها.. تقول الإلهة المزعومة:

«متى تحتاج إلى أي شيء تفضله عندما يكتمل القمر سوف تجدني في مكان ما تهيم روحي عليه. أنا ملكة كل حكيم وسوف تتحررون من العبودية وعندما تكونون أحرارا ستتخلصون من كل الطقوس الدينية فتغنون وتقيمون الاحتفالات وترقصون وتعزفون الموسيقى وتحبون كل هذا في وجودي أما أنا فإن روحي وبهجتي وسروري على هذه الأرض وقانوني هو الحب لكل الموجودات.

إنني السر الذي يفتح الباب للشباب، إنني كأس نخب الحياة الذي يمدكم بالخلود، إنني مصدر المعرفة الأبدية وحياة ما بعد الموت، إنني واهبة السلام والحرية والرعاية، وأجمع حولي هؤلاء الذين رحلوا من قبل ولا أطلب أن تفعلوا لي شيئا أو تقدموا لي قرابين لأنني أم كل شيء وإن حبي يعم الأرض كلها.

إنني جمال الأرض الخضراء والقمر الأبيض بين النجوم، وإنني سر الماء، كما أدعو لروحك أن تسمو وتأتي إلي لأنني روح الطبيعة التي تعطي الحياة للكون كل الأشياء تأتي مني وتعود إلي. إن الحب والسعادة هي طقوسي الدينية وينبغي أن يكون بداخلك جمال وقوة وطاقة ورحمة وشرف وتواضع وبهجة ووقار.. وأنت الذي تبحث عني لتعرفني»[1].

هذه الجمل التي اتخذت طابعا شعريا وخليطاً من الأفكار الدينية القديمة والإنسانية العامة والنسوية الشاذة أصبحت وحيا جديدا، يعيد ترسيخ الخرافات للأسف تحت مظهر حداثي وحقوقي.

(١) فاطمة عبد الرؤوف http:/ /alrased. net/main/articles. aspx?selected_article_no=3543.

خاتمة

قد يتصور القارئ الكريم أنه ثمة مبالغة أو تهويل للتحذير من خطورة انتشار هذا الفكر ولكن هذا الفكر الشاذ يجد طريقه بسرعة ليتحول لأمر ممكن واتخذت الدعوة إليه أشكالاً فنية جمالية حتى تقترب أكثر من وجدان الإنسان، والأخطر من ذلك أن هذه الأفكار تقدِّم للأطفال الصغار حتى يتشربوها، عبر الرسوم المتحركة وأفلام الأطفال ذات المناظر الخلابة والألوان الزاهية، لقد عرض فيلم مدبلج على قناة أطفال عربية شهيرة جدا يطلب فيها المعلم من التلاميذ أن يجسدوا له روح الوجود ويظل التلاميذ يفكرون ويحاولون حتى يخرج أحدهم بتمثال (إلهة أنثى) لامرأة بدائية عارية حيث يحتفي به المعلم ويطلب من التلاميذ أن يتأملوا ألوهة ويشعروا بها.

أن يكون هناك لاهوت جديد يخدم القضايا المعاصرة للمؤمن أمر جيد ومطلوب، وأن يتأسس لاهوت نسوي يحاول إنصاف المرأة بإعادة قراءة النصوص التي أولت بطريقة خاطئة أو ذكورية أيضًا أمر جيد جدا، لكن أن يحيد الاجتهاد عن مقصده، نحو انحرافات فكرية وسلوكية من بعث للوثنية وتشجيع للشذوذ فهذا لا علاقة له بحرية وحقوق المرأة ولا نجد له مسوغا منطقيا أو شرعيا، إنه صدى لفوضى فكرية روحية حادة.

والمرأة العربية والمسلمة كما نعلم كثيرا ما تنساق وراء موجات التجديد التي تأتي من الغرب بحكم حالة التبعية التي تعانيها هي والرجل معا. أكيد ظلمت المرأة باسم الدين الإسلامي، وبالتالي المنظومة الفقهية على هذا المستوى بحاجة إلى المراجعة والقراءة الجديدة للنصوص لأجل تصحيح المفاهيم الخاطئة ضد المرأة التي روج لها منذ قرون حتى صارت وكأنها تعبر عن موقف الإسلام الحقيقي.

توجد تيارات نسوية في الساحة العربية الإسلامية تناضل من أجل المساواة، دون الخروج على تعاليم ومبادئ الشريعة الإسلامية بل بالالتفاف حول الشريعة نفسها من خلال ما أطلقوا عليه إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسوي، كما توجد تيارات تطعن في الإسلام مباشرة وترتد عنه، بل وتردد مقولات اللاهوت النسوي الغربي المتطرفة، وطبعا الجهل بحقيقة الإسلام وعقيدته، وراء هذا الموقف الشاذ هذا ما سنتطرق إليه في دراسة عن اللاهوت النسوي الإسلامي.